

تفسير البحر المحيط

@ 87 @ التخلف . وقيل : هم رهط عامر بن الطفيل قالوا : إن غزونا معك غارات إعراب طي على أهلينا ومواشينا ، فقال صلى الله عليه وسلم) : (سيعني الله عنكم) وعن مجاهد : نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى . قال ابن إسحاق : نفر من غفار منهم خفاف بن إيماء ، وهذا يقتضي أنهم مؤمنون ، والظاهر أن هؤلاء الجائين كانوا مؤمنين كما قال ابن عباس ، لأن التقسيم يقتضي ذلك . ألا ترى إلى قوله : { وَكَذَّبُوا آلَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } فلو كان الجميع كفاراً لم يكن لوصف الذين قعدوا بالكذب اختصاص ، وكان يكون التركيب سيصيبهم عذاب أليم . ويحتمل أن يكونوا كفاراً كما قال قتادة ، فانقسموا إلى جاء معتمر وإلى قاعد ، واستؤنف إخبار بما يصيب الكافرين . ويكون الضمير في منهم عائداً على الإعراب ، أو يكون المعنى : سيصيب الذين يوافون على الكفر من هؤلاء عذاب أليم في الدنيا بالقتل والسبي ، وفي الآخرة بالنار . وقرأ الجمهور : كذبوا بالتخفيف أي : في إيمانهم فاطهروا ضد ما أخفوه . وقرأ أبيّ والحسن في المشهور عنه : ونوح وإسماعيل كذبوا بالتشديد أي لم يصدقوه تعالى ولا رسوله ، وردوا عليه أمره والتشديد أبلغ في الذم . .

{ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرُوضَةِ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا
يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا * اللَّهُ * وَرَسُولُهُ * مَا عَلَى
الْمُحْسِنِينَ مِنَ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا
مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا
وَأَعْيُنُهُمْ تَفْرِضُ مِنَ الدِّمَعِ حَزَنًا } : لما ذكر حال من تخلف عن الجهاد مع
القدرة عليه ، ذكر حال من له عذر في تركه . والضعفاء جمع ضعيف وهو الهرم ، ومن خلق في
أصل البنية شديد المخافة والضوالة ، بحيث لا يمكنه الجهاد . والمريض من عرض له المرض ،
أو كان زمناً ويدخل فيه العمى والعرج . والذين لا يجدون ما ينفقون هم الفقراء . قيل :
هم مزينة وجهينة وبنو عذرة ، ونفى الحرج عنهم في التخلف عن الغزو ، ونفى الحرج لا يتضمن
المنع من الخروج إلى الغزو ، فلو خرج أحد هؤلاء ليعين المجاهدين بما يقدر عليه من حفظ
متاعهم أو تكثير سوادهم ولا يكون كلاً عليهم ، كان له في ذلك ثواب جزيل . فقد كان عمرو
بن الجموح أعرج وهو من أتقياء الأنصار ، وهو في أول الجيش ، وقال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم) : (إن الله قد عذرك) فقال : والله لأحقرن بعرجتي هذه في الجنة . وكان ابن أم
مكتوم أعمى ، فخرج إلى أحد وطلب أن يعطي اللواء فأخذه ، فأصابت يده التي فيها اللواء

فأمسكه باليد الأخرى ، فضربت فأمسكه ب صدره . وقرأ : { وَ مَآ مٌ حَمَّ دٌ إ لَّا رَّ سُولٌ قَدَّ خَلَّاتٌ مِّن قَدِّ لِه رَّ سُلُ } وشرط في انتفاء الحرج النصح ﷻ ورسوله ، وهو أن يكون نياتهم وأقوالهم سراً وجهراً خالصة ﷻ من الغش ، ساعية في إيصال الخير للمؤمنين ، داعية لهم بالنصر والتمكين . ففي سنن أبي داود (لقد تركتم بعدكم قوماً ما سرتهم مسيراً ولا أنفقتهم من نفقة ولا قطعتم وأدياً إلا هم معكم فيه) قالوا : يا رسول الله وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : (حبسهم العذر) . وقرأ أبو حنيفة : إذا نصحوا ﷻ ورسوله بنصب الجلالة ، والمعطوف ما على المحسنين من سبيل أي : من لائحة تناط بهم أو عقوبة . ولفظ المحسنين عام يندرج فيه هؤلاء المعذورون الناصحون غيرهم ، وقيل : المحسنين هنا المعذورون الناصحون ، ويبعد الاستدلال بهذه الجملة على نفي القياس . وإن المحسن هو المسلم ، لانتفاء جميع السبيل ، فلا يتوجه عليه شيء من التكاليف إلا بدليل منفصل ، فيكون يخص هذا العام الدال على براءة الذمة . وقال الكرمانى : المحسنين هم الذين أطاعوا ﷻ ورسوله في أقوالهم ، ثم أكد الرجاء